المحاضرة الأولى: ماهية الإخراج المسرحي

يعرف الإخراج عند الكثير من المنظرين بكونه قراءة ثانية للنص، أو كتابة تعادل المتن، وتحاول في الوقت نفسه إيجاد رؤية تعمل على تجاوزه إخراجيا، وبما أن الإخراج يختلف عن النص المسرحي وينفرد عنه من حيث أدواته ووسائله التعبيرية. وبما أن النص الدرامي يعتمد على اللغة بوصفها وسيلة أساسية في عملية التواصل الدرامي، فإن ما يعادلها في العملية الإخراجية اللغة البصرية (الركحية)، حيث تتأسس الرؤية هاهنا من عين المخرج الذي يصنع صورة العرض المسرحي بوسائل عدة (الديكور، الملابس الإضاءة، الموسيقى والممثل) بحيث تختلف طريقة توظيف هذه الوسائل حسب المنهج أو المدرسة التي ينتمي إليها المخرج.

يقول (باتريس بافيسPatric Pavis)في تعريفه للإخراج : " هو توظيف لجميع وسائط خشبة المسرح، من ديكور وإضاءة وموسيقى وحركات الممثلين، إذ يتجلى كنشاط منسق في زمن ومكان الأداء التمثيلي والمشهدي بمختلف العناصر المشهدية المؤولة لأي عمل درامي"[1].

أما(غروتوفسكي G. Grotowski) فيحدده بقوله:" هو تلك اللمسة الإبداعية التي تختلف من مخرج إلى آخر، حسب حمولاته الثقافية والفنية، فإذا ما قدم النص إلى مخرج يعتمد على الفلسفة فإنه سيضفى على هذا النص طابعا فلسفيا، وكذلك بالنسبة لمخرج يعتمد على الشاعرية، إذ نجده يضفي على إخراجه طابعا أدبيا ورومانسيا"[2]. لذلك تنعكس تجربة المخرج في العرض المسرحي مشكلة بذلك قراءة ثانية للنص الأول كما أوله المخرج، والتأويل هاهنا يرتبط أساسا بمجموعة من العناصر المكونة لثقافته (العادات، التقاليد، الدين، التوجه الإيديولوجي وغيرها).

كما يتطرق (سيلفيو داميكو Silvio Damiko) إلى العملية الإخراجية بقوله:" هو فهم النص المسرحي واستنباط المحتوى الدراسي منه وتحويله من الحياة المثالية للكاتب إلى حياة مادية على

---

[1]- voir, Patric Pavis. Dictionnaire du théâtre, Dunod paris, 1996, p 210.

[2]- نقلا عن سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، عالم المعرفة، ع 19، مطابع اليقظة، الكويت، 1979، ص 15.

خشبة المسرح"[3]، إذ يعمد المخرج في هذه الحالة إلى تجسيد تلك المعاني التي أنتجها من خلال القراءة، عن طريق أشكال مادية مرئية.

تسعى العملية الإخراجية إلى تحريك النص الدرامي فوق خشبة المسرح، من خلال مجموعة من العناصر المكونة للعرض ، حيث تتآلف فيما بينها من أجل تحقيق المتعة والرؤية الجمالية المتوخاة منها، وكل ذلك يقع على عاتق المخرج، لأن وظيفته تكمن في إبراز الرسم المسرحي بتظافر جهود إبداعية وحرفية، نجملها في عناصر أربعة هي :" الكلمة، التعبير، الجمهور، والتنظيم، "[4]، لهذا يعد لزاما على المخرج الإلمام بالتصورات العامة لعناصر عمله ابتداء من الممثلين وحتى أصغر جزئية في العمل، الأمر الذي يستدعي منه التكفل بمهمة استنباط المعنى من خلال قراءاته المتعددة للنص.

ولا يتأتى له ذلك إلا من خلال قدرته الواسعة منفي معرفة بحيثيات الإخراج المسرحي فالمخرج الناجح هو ذاك الذي يهتم بالتفاصيل الدقيقة ، بحيث يتنوع فكره من خبرته في التمثيل والإخراج هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينفرد بخصوصية تميزه عن باقي الفريق بالخبرة والثقافة الواسعة.

تقتضي ممارسة الإخراج المسرحي، دراسة عيون الأب المسرحي، والإطلاع الواسع على تاريخ المسرح ومدارسه المختلفة عبر مراحله التطورية من الإغريق وحتى عصره، فالمخرج يحتاج إلى ثقافة واسعة ودرجة علمية تؤهله للعب دور القائد في الجوق المسرحي بمختلف مكوناته، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، " لأن النص المسرحي كلما كان غنيا في محتواه الأدبي والشعري والنفسي والأخلاقي، وكلما كان عميقا وعناصر الجمال الدفينة فيه عظيمة، وكلما كان النص أصيلا في أسلوبه ودقيقا في بنائه، كلما تعددت المشكلات والقضايا الحساسة التي ستواجه المخرج"[5]. ومن هنا تتأتى عملية تفسير النص الدرامي للمتفرجين وإيصال فحواه لهم بوضوح عن طريق الآليات الإخراجية التي

---

[3]- سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، عالم المعرفة، م س، ص 15.

[4]- م ن، ص 14.

[5]- جاك كوبو، دراسة الإخراج، 1956، نقلا عن سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، م س، ص 16.

يستعملها المخرج، باعتبار التفسير الدرامي للنص بطبيعته يعد عملا فكريا، يستدعي إجراءات بحث متواصل سواء من الناحية الأدبية أو من الناحية النقدية، فالتفسير الصحيح والصادق للنص الدرامي يعتمد على نقطتين هامتين هما : الأمانة، وإمكانية الاجتهاد وهما وظيفتان متكاملتان، إذا ما التزم المخرج حدود فنه غير ضارب عرض الحائط أفكار ورؤية المؤلف[6]، – بمعنى– أن الأمانة عند المخرج تقتضي منه أن لا يزيف القضية التي عالجها الكاتب لأن المؤلف من حقه أن لا تؤول كلمته، كما أن الاجتهاد مطلوب وضروري كي يتحقق للنص هدفه المرجو.

[6]– ينظر سعد أردش، المخرج في المسرح المعاصر، م س، ص 18.